في القضية النسوية

رئاسة مُشرّفة رابعة

ياسين طه حافظ

قرأت للنائبة المحترمة صفية السهيل، في الصحافة، وللمرة الثانية أو الثالثة، بأن تنال المرأة مكانتها التي تستحق.. هذا كلام جيد وهو كلام أيّ مثقف أو متحضّر.

التصريح الأخير، قرأته في "الصباح" ، كان أكثر وضوحاً، فقد أشارت علناً للرئاسات الثلاث ونوّهت تنويهاً بالحقوق الأخرى. صحيح أن التصريحات لا تُعتْمد في الردّ أو في النقاش، لأنها غالباً ما تكون مجتزءة، وبعض فقرات الكلام لا تكون في السياق الذي وردت فيه. لكن مع تقديري لذلك، لبّ المسألة واضح ويمكن أن نتحدث في دلالته أو دلالاته.

ولأني رجل اكتب مقالاً ثقافياً، أُريد يظل حديثي في ثقافة المرأة وفي التثقيف بحقوقها. فهاتان النقطتان مثلما هما ضروريتان لنيل الحقوق، هما، في ترديهما الحالي، وراء ضياع حقوق المرأة. ولذلك يصبح تصريح، أو مطالبة السيدة السهيل محصورَ القصد في الدائرة الضيقة من النواب ونشره في صحيفة قد يعني نساءً في وسط امتلك شيئاً من الثقافة الحديثة في حُقوق المرأة وفي الحركة النسوية في العالم. ذلك لأنه ليس نداءً باسم منظمة مهمة ولا هو بيان متكامل من جمعية أو رابطة.

أعود إلى المسألة الأساس في التصريح، أو المطالبة، فأقول: نحن، محترفي الكتابة، نعرف المقصود بالتصريح ونفرزه عن الزخرف حوله. لذلك أقول: أن المطالب العامة كلها مشروعة.. بل هي طبيعية ولا تحتاج الى مطالبة أو تصريح لو كنا نعيش في بلد امتلك ثقافة بحقوق الإنسان، ونالت هذه الحقوق فرصة للتطبيق. أما المطلب الرئيس، وهو بيت القصيد، الرئاسات الثلاث، فهذا مطلب يقع أساساً ضمن الحقوق العامة للإنسان، رجلاً أو امرأة. إبعاد المرأة، استوجب تأكيداً والسيدة السهيل وأخريات، جديرات بواحدة من تلك الثلاث. فهي، ليست، ولسن، بأي حال أقل من زملائهن. كلامي هذا يعني أنا لست أبداً ضد أن يكون للمرأة هذا الحق، فهي قانوناً وكفاءة، جديرة به. والسيدة السهيل في موقعها البرلماني يمكن أن ترتقي بضع سُلّمات من سلم المحاصصة وتنال إحدى الرئاسات الثلاث، ولمَ لا؟ لكن ما دمنا مثقفين، فعلينا ألاّ ننسى أن اللبرالية، التي ندّعي أننا ضمنها، تلتزم بتكافؤ الفرص وتكافؤ الفرص يشمل كل الحقوق والمواقع الإدارية، لا الرئاسات الثلاث وحدها، ولا السهيل وحدها أو بضعة الأسماء النسوية حولها.

يبدو أني تعجّلت في هذا التمهيد. فثمة ما هو أهم لأبدأ به. لكن كان لذلك مسوّغهُ أيضاً. مع ذلك ، أقول:

قبل الرئاسات الثلاث وقبل البرلمان وقبل المناصب الوزارية وقبل دورها الهلامي في المصالحة الوطنية، تمنيت أن يكون للسيدة السهيل، ولأي سواها في البرلمان وفي غيره، أن يكون لها دور نضالي ثوري حقيقي في حماية المرأة من "الجزْر" الذي تنشر أخباره الصحف، وفي إيقاف العنف الأسري وما تتعرض له النساء من وحشية مفزعة. هل زارت السيدة السهيل محكمة شرعية لترى ولتسمع ما تتعرض له النساء؟ لترى الكدمات على أوجه المعتدى عليهن وخوفهن من مهاجَمَة وضرب وهن في الطريق الى المحكمة، وهن في داخلها؟ هل رأت إعداد النساء المتسوّلات ومحنة الأرامل في إعالة أطفالهن، أو في أمراضهن وحجم البؤس؟ وهل علمت، عفوا هي سيدة محترمة وتعلم جيداً، بحَرْف الحقوق البسيطة التي تحققت للمرأة؟ تمنيت أن تقود السيدة السهيل مسيرة نضالية نسوية لكسر العتوّ الذكوري والواقع المهين الذي يمسخ المرأة اليوم ويهدد الجيل القادم من النساء! تمنيت لها، وهي صاحبة صالون ثقافي، أن يكون لها برنامج تثقيفي بحقوق المرأة، وكشف واقعها المدان والمؤسف وأن تكون داعيةً متحمسة أولى لحملة تثقيف بين النساء كما بين الرجال. وان يكون لسيدتنا المحترمة اسم في تظاهرات واحتجاجات نسوية ضد استغلال المرأة فكراً وجسداً وطاقة عملية...

نحن نعمل ثقافة يا سيدتي، فلتكن ثقافة تصنع وطناً لا تصنع رئاسات! وإذا كانت بعض الدول التعيسة تتباهى بوجود وزير امرأة في حكومتها ووجود عدد من النائبات وبعض بدرجة مدير عام، وكأن في ذلك مكسبا حضاريا عظيما، فأنا أقول إن مظاهر مثل هذه لم تعد مفاخر لأنها طبيعية وخلافها خطأ وتخلّف!

إن القيادات النسوية مطالبات بتجاوز التنظير والاستعراضات الصحفية، فلا معنى لـ "يجب" و الـ "ينبغي" و لـ "نتمنى أن" ... الخ. البؤس اللغوي. مطالبات أن يتجاوزن هذا إلى رفع لافتات الاحتجاج والمطالبة بالحقوق وبالحماية، الحماية الحقيقية التي لا تُختَرق من خارج على القانون أو من متنفّذ متستّر أو ولي أمر أو قريب جاهل ... الديمقراطية ليست كلاماً، وما عادت نواباً ونائبات من اتجاهات، أو من انتماءات مختلفة. إن الديمقراطية أكبر من أن تكون رخصة للاحتفاء بالاختلاف. هي نظام سياسي من الثقة المتبادلة ومن الالتزامات الأخلاقية المشتركة والتزام بحرية الشعب.

وحرية المرأة أساس حقيقي ومقياس حقيقي لحرية عموم الشعب.

قضية المرأة في عراق اليوم أكبر من أن تكون حاجة إلى نائبات وإلى إحدى الرئاسات الثلاث ولا حتى إلى رئاسة جمهورية. الحاجة الحقيقية حاجة نضالية ميدانية. وثقافية – تثقيفية للإقرار بالحقوق الطبيعية ونشر السلوك الطبيعي معهن في المجالات كلها، الشخصية والعامة. أن يتعلم الجميع النظر باحترام إلى مستَحَقاتها في الحياة. حملة تثقيف واسعة هي ما نحتاج له لكسر الهيمنة والشراسة الذكوريتين وما يخدمهما من قوانين وأنظمة صارت بحاجة إلى إعادة نظر وإعادة فهم.

بداية الحل هو الاحتكام إلى الوعي الحضاري بعصرنا، إلى الفهم الإنساني الجديد والذي تستوجبه التحوّلات الاجتماعية في العالم.

تمنيت أن تكون يد السيدة النائبة المحترمة بيد السيدة هناء أنور وناشطات بواسل أُخَر، معاً في مسيرة نضالية ومنهاج نضالي من اجل ثقافة واسعة في حقوق المرأة، ومن اجل حريتها في الحياة ومن اجل إيقاف القتل، أو ما يُسمّى بـ "الانتحار"، بالعشرات مما نقرأ عنه في الصحف. ما نشرته وزارة حقوق الإنسان لا يريح أحداً محترماً.. إن عملاً نضالياً دؤوباً هو المطلوب اليوم لكشف الأسباب الاقتصادية والاجتماعية وراء ذلك وتأكيد نداءات الإصلاح في البرلمان وفي مجلس الوزراء وفي المنظمات أو في المجالس أو الصالونات الخاصة.. فضلا عن تأسيس واسع لثقافة شعبية سليمة يرتضيها العصر.

إن ما نسمع به وما نقرؤه في الصحف وبعضه بيانات رسمية، يخالف الموقف الرسمي. وهذا يعني أن هناك تجاوزات، جرائم، تستلزم دعوة الدولة للتدخل الحازم.

قوانين البلاد تقول بعدم جواز حرمان أي مواطن، في أي مكان في البلد، عن التمتع بحقه الإنساني في العيش والاعتقاد والتعبير وبحمايته من الظلم والاعتداء. مطلوب إجراءات حاسمة للتنفيذ ليكون للقوانين معنى.

ومثلما مطلوب تثقيف الرجال، أفكاراً وسلوكاً، بعقلانية العصر والحقوق الإنسانية لجميع البشر، المطلوب أيضاً حملات تثقيفية، وبرامج معهدية، تتبنى تعريف المرأة بحقوقها وأساليب حمايتها والدفاع عنها، ومن ضمن تلك الحملات والبرامج، اطلاع جماهير النساء على الحركات النسوية في العالم ... وقبل هذا وذاك البدء بإجراءات تأديبية رادعة لمن يسهمون في الضغوط الاجتماعية على النساء مما يضيق الحياة عليهن ويصادر حرياتهن.

إن قيادة نسوية مثقفة، بطلة ومخلصة، هي أكثر قيمة تاريخية وأعلى اسماً في المستقبل من كل المواقع الرسمية، التي مهما طال عمرها، فلن تدوم أكثر من سنتين أو ثلاث.

قضية المرأة في العراق اليوم، تنتظر اسماً يحمل شرف التثقيف بحقوقها وشرف النضال لسن قوانين حديثة تضمن كرامتها ونحميها حماية مُحْكَمه كاملة. قيادة نضالية مثل هذه هي الرئاسة المشرّفة الرابعة التي يمكن أن تفخر بها اليوم قائدة نسوية! شرط هذه القيادة لتكون محترمة، أن تكون عينها إلى المستقبل لا إلى المناصب الفارغة أو التي ستخلو. قيادة النضال النسوي من اجل الحقوق والحرية والسلامة وبناء البلد على أسس إنسانية سليمة، هي حاجة الحاضر الـلا أكبر منها ولا أهمّ. وهي لا غيرها علامة الشرف المضيئة في المستقبل.

فإلى النضال، وبلا هوادة أيتها البواسل،.... سلاماً!

قناديل

لطفية الدليمي

غياب الفكر النقدي وخراب الثقافة

(٣)

لن تتقدم ثقافة مجتمع ما – بل لن يتطور المجتمع بكامله دون نمو فكر نقدي مستمد من فلسفة راسخة تتابع متغيرات المجتمع وتدرسها وتقدم خلاصات ورؤى واقتراحات يستفيد منا قادة المجتمع السياسيون والأكاديميون والمبدعون، فلو تفحصنا سيرورة الفكر النقدي في الغرب لاكتشفنا أنه لم يصل الى ما وصل إليه إلا بعد ان نجح في فصل الدين عن الدولة وابعد سلطة الكهنة عن التأثير في المجتمعات، وقامت على اثر ذلك الدولة المدنية الحديثة بعد أن مرت المجتمعات بعصر وسطي مضطرب وعنيف شكّل جسرا رابطا بين مرحلتين وعهدين : عهد هيمنة الكنيسة ورجالها وثقافتها على المجتمع والفكر والسياسة والاقتصاد – وعهد الفكر النقدي الذي افرزته الفلسفة الحديثة في ظل الدولة المدنية ومؤسساتها التي تحررت من سطوة الكنيسة واستقل فيها نظام الحكم عن ظلال الماضي وأحكامه وثبات مواقفه المتشددة، وصار من حق الانسان والفكر النقدي الذي انتجته المرحلة أن يتمرد على الثوابت وينحو إلى الشك والنقد ورفض الإجابات الجاهزة التي يقدمها الفكر الماضوي عن أسئلة البشر ومعضلات الوجود والحياة والموت. لقد نجحت تلك القوى المتشبثة بالماضي وعلى مدى قرون في احتلال العقل وتحجيمه وإلغاء فاعليته ومنعه من التساؤل والشك والابتكار ونصبت نفسها بديلا عنه في التفكير وتقديم الأجوبة الغيبية وما عليه سوى الرضوخ.

ولو تفحصنا مدونة النقد الأدبي عندنا مثلا لوجدناها تمتلئ باستشهادات ومقاطع كاملة مستلة من نقاد غربيين توصلوا الى طروحاتهم ونظرياتهم عبر رحلة معرفية طويلة ومضنية، وزاوجوا بين افكار فلاسفة من معاصريهم، وعايشوا اكاتب النص المنقود في بيئة مشتركة وخضع الاثنان لمؤثرات ومتغيرات واحدة – فكتب الناقد ما يمليه عليه وضع اجتماعي ومعرفي محدد وساعده على استخلاص موقف نقدي – ليس إزاء الأدب والنص المعني – بل إزاء نظام اجتماعي وسياسي وفكري و فلسفي متكامل ومترابط ينطلق منه الناقد والكاتب معا في تعزيز قيم الحداثة وما بعدها ونقد المجتمع المرتبط بها، بينما يلجأ معظم نقادنا – ونحن نعيش في مجتمعات ماضوية ساكنة متخلفة – الى التطفل على المدارس النقدية الغربية التي افرزها المجتمع الحداثي المدني – المختلف كل الاختلاف عن مجتمعاتنا، فتبدو طروحاتهم غريبة ومعزولة عن مجتمعنا السادر في عبادة ماضيه ولا سند لها من مرجعيات منطقية واستشهادات محلية من بيئة الكاتب وانعكاسات مجتمعه..

لقد ترسخت قيم الحداثة في البلاد الديمقراطية الغربية بازدهار الفلسفة والإبداع والفكر النقدي واستطاعت المجتمعات أن تستشرف مستقبلها وتتفحص امكانات حياة اكثر حرية ونضجا وأوفر إنتاجا في أفق الحرية الواسع، وعند هذه النقطة ازدادت مسؤولية الإنسان وضوحا أمام تعدد الخيارات – وواجه بخياره الحر معضلات الحياة دون الاعتماد على اجوبة جاهزة من الماضي – ما دفع بالبشرية الى ذرى الإبداع والابتكار والاختراعات التي غيرت وجه العالم المعاصر وبالمقابل يكمن ضعف السياسة التي لا تتقبل النقد ولا تعترف بالأخطاء وهي تواصل تبشير الناس بالمستقبل اليوتوبي الوهمي لترسخ سلطتها المستبدة دونما اداء واقعي وتشتغل منظومتها الفكرية على مصادر ماضوية تناقض أية رؤى مستقبلية، فتعيد السلطات المنبثقة عن الثورات والانتفاضات إنتاج الديكتاتوريات وتكررها لأنها لا تملك غير شهوة السلطة مع ادعاءات زائفة بالديموقراطية فتمضي من فشل الى آخر رافضة أية معارضة تختلف معها وتنقد سياساتها الفاسدة – ليترسخ الخراب ويتبدد المال العام بين أيدي المتنفذين بينما تواصل منظومتهم الثقافية خداع الجماهير بوعد اليوتوبيا فلا يسع الجموع المحرومة حينها إلا التشبث بالوهم .

متابعة

المعايير الشيئية للنقد التشكيلي في مقهى أدباء البصرة

جاسم العايف

ضيّف التجمع الثقافي في مقهى أدباء البصرة ، الناقد التشكيلي خالد خضير الصالحي في محاضرة بعنوان (المعايير الشيئية للنقد التشكيلي) رافقه فيها الفنان التشكيلي هاشم تايه ، مقدماً له ، وكانت مقدمته بعنوان: (جدل في الرسم حيث لا رسم)..!. جاء في بعضها :قبل الخوض في أفكار الناقد خالد خضيّر، أرى أن جلستنا هذه المخصّصة للجدل في ماهيّة الرّسم كعمل فني ستكون عقيمة وأقرب إلى فضلة لا لزوم لها، إن لم تكن نكتة مضحكة !. فأنت لكي تجادِل في شيء، فإنّ هذا الشيء يجب أن يكون موجوداً في المكان الذي تحيا فيه أوّلاً، وتلمس آثاره في الثقافة والوعي والذائقة ثانيا. وبما أنّ الرسم في مدينتنا، اليوم، في وضع أقرب إلى الضمور والغياب، فإنّ جدالنا بخصوص ماهيته سيكون بلا فائدة، كما أعتقد، وكان الأولى أن نتحاور في الأسباب التي جعلت الرسم في البصرة ينام بلا أحلام نومته الطويلة هذه؟. وتساءل تايه : هل يوجد في البصرة متحف للأعمال الفنيّة بالوسع زيارته لنكون على صلة بهذه الأعمال نحاورها حوار رؤية بالعين قبل أن نجادلها باللسان؟ أين تجدون قاعات عرض تؤمّن لنا الاطلاع على أعمال فنيّة في معارضٍ تقام دوريّا على مدى العام؟ هل نحن على صلة أصلاً بالرسم؟ هل نقتنيه ونعلقه على جدران بيوتنا؟ هل نراه في مؤسساتنا، هل نرتطم به في الفضاء العام داخل محيط مدينتنا؟ هل هناك رسمٌ في مدارسنا؟، وأضاف: الرسم إذن، إذا اتفقنا مع الناقد خالد خضيّر (واقعة شيئيّة) ليست قائمة في واقع، وحضورها الشحيح ضعيف وفاتر ومعدوم الأثر، ولهذا فالجدل في ماهية الرسم أولى به أن يؤجّل إلى حين حضور السيّد الرّسم. وما دمنا حضرنا في جلسة سيحاضر فيها الناقد التشكيليّ خالد خضيّر بحماسه المعروف لتصحيح عدد من المفاهيم المتعلقة بماهية الرسم وطبيعته ووظيفته التي يراها خاطئة، وسنعرف منه إلى أي حدّ يقترب مفهومه للرسم كـ (واقعة شيئيّة) من حقيقة الرسم وماهيّته وعناصره وقواه وتأثيره فينا؟، ما المربك في مفهوم (واقعة شيئيّة)؟. أين يضع خالد المستوى الدلالي في الرسم؟ ولماذا يساوي بين الدلالة والموضوع، مع أن الموضوع مناسبة ذات طبيعة محددة؟. ثم تحدث الناقد التشكيلي خالد خضير الصالحي قائلاً: نقصد بالفن هنا وبالعمل الفني، الرسمَ تحديدا ، وإن كان تعريفنا يشمل النحت والسيراميك وأنماط الرسم المختلفة ، رغم أن هذه الأنماط الفنية تختلف عن بعضها اختلافات تفرضها طبيعة المادة التي يشتغل عليها الفنان . ثانيا نعتقد أن العمل الفني واقعة تتألف من مستويين بنائيين مستقلين: مستوى تحتي مادي شيئي ينتمي إلى جوهر العمل الفني المادي (البصري أو اللمسي)، ومستوى دلالي فوقي ينشأ كهامش سردي على الواقعة الشيئية، وهو، أي المستوى الفوقي، وإن كان موجوداً ضمن جوهر العمل الفني ، فإنه لا ينتمي إلى البنية المادية للعمل الفني، وذلك بسبب إن الحكم الجماليّ، والحقل الجماليّ ليس معرفة، لذا فهو مستقل عن معايير العقل وقيمه الأخلاقية والتقوية. واعتبار العمل الفني تجسداً للفكرة المطلقة ، قد خلف كوارث دفع ثمنها الفن وحده، فالعمل الفني في حقيقته جوهر مادّيّ قائم في ذاته، ويعرض نفسه في وجوده الخاص، لذلك علينا تعميق البحث في الخصائص المادية للعمل الفني أي في شيئيته ، وهي وجوده المادّي والتقني، وهذا الأمر يصدق كذلك على الشعر. ويجب أنْ يجري البحث عن جوهر الشعر في (الشعرية) التي تكمن في خصائص النص، وفي طبيعته النصّيّة واللغوية الجوهرية، ونحن نعتقد أنّ الكتابة (النقدية) التي تتناول العمل الفني عليها أن تتناول وجوده المادي الشيئي لتكون حقا كتابة نقدية، بينما نجد أنّ أطنانا من الصفحات التي يسوّدها الكتّاب تنتمي في حقيقتها إلى حقول قريبة من النقد التشكيلي كالسوسيولوجيا مثلا (علم اجتماع الفن) أو تنتمي إلى حقول راسخة أخرى كعلم النفس أو قد تكون تأملات فلسفية أو كتابة صحفية أو غير ذلك. وهي في هذه الحالة لا تبحث سوى ببنيته الفوقية السردية التي يتساوى فيها مع وسائل تعبير أخرى ويفقد خصوصيته التي تعطيه شخصيته المتفردة وهي وجوده كـ(واقعة شيئية)، ومن الصعب أن تنتمي كتابات كهذه إلى النقد التشكيلي. إن النقد التشكيلي من باب مماثل يجد ميدان اشتغاله داخل البنية الشيئية للعمل الفني لا خارجه، أي في جوهره لا في هوامشه السردية التي وان وجدت فيه إلا أنها لا تنتمي إلى الفن كواقعة مادية، وأضاف الصالحي: أنها مفاهيم تعنى بدراسة الواقعة الشيئية أو مادية اللوحة، واعتبار اللوحة مناسبة لوضع المادة على سطح ما، والمادة تشتمل اللون وكل التقنيات المرافقة كالتعتيق والحروق والخروق والملصّقات (المواد المضافة)، وهي رؤية اقرب ما تكون إلى المفاهيم النصية. فالنص اللغوي والنص البصري هما حقلان مختلفان في وسائل التعبير وفي المقاربات النقدية ، إلا أن لهما مشتركا عاما هو ثنائية الصورة بنمطيها: الصورة الشعرية بصفتها استعارة والصورة البصرية باعتبارها واقعة تشاكل صوري، ومن خلال تعاكس مرآوي بين طرفي هذه الثنائية. كما قال: يفتقر المشهد التشكيلي العراقي والعربي إلى الجرأة التي وصلها الفنان الأوربي. الرسام هو المخطط، الكاليغرافي، بينما المصور هو الملون، وتجد أن الحدود بين هذين العنصرين ليست حدوداً واضحة، وأضاف: إن إدامة وجود علاقة متوازنة بين الرسم والإبداع بصفة عامة والنقد مسألة تتطلب جهدا وبنية عقلية قادرة على الإشتغال على نمطي الإبداع: السامي و النثري معاً، وتلك قضية تستوجب نمطين من الانشغالات العقلية، بينهما مسافة.

قصيدتان

يوماً ما

حسين عنون

ستغادرين
تاركةً اللاشيء،
أحمل ما تبقى من آثار
قدميك في فراغ يدي
وألثم رائحة جسدك المتبقية،
اتبع ذرات الهواء
التي لامستك للمرة الأخيرة
قبل ذوبان ثلج الصحراء
وسراب الواحة البعيدة.
ارسم لك لوحة
تتراقص فيها الوان الماء
من كل القارات
وامزجها في رائحة الأزهار
المنتشرة حول الدانوب الأزرق
وأعود...
احمل ذكريات الجسور،
وكل أقدام المارين بلا هدف،
وأسماء محاها المطر
من على جدران المتاحف،
وصوراً مزقها عاشقان.
سأحمل كل هذا لك
عندما يعود يوما ما طيفك
محملا ببعض القصص
لأرويها لطفلي الصغير
الذي لم يولد بعد.

سكون

كان يجلس قبالتي
يحدثني عن طريق جديد
وعن الذهاب بعيدا سوية.
يفترق عني في المنتصف
يعانقني عناق الوداع
في متاهة مقفرة
إلا من ضوء صغير
أتى من بعيد
مع الحشد القادم.
صبية صغار وبعض كهول
ومعاول... يوسّعون
شقا في الأرض
يرتدون الشمس
الآفلة نحو الغروب،
يرددون أغاني جنائزية
ثم يعودون أدراجهم
نحو الصباح.
قبل صياح الديك
سينكرني
الضوءُ وشقّ الأرض
ثم أتلاشى
رويدا رويدا
نحو الضوء الخافت
مستبعدا أنا الآخر
مع الوداع
وإضمامة صغيرة..
وسكون.